

الصومعة

— نوال مهنى - مصر —

شيء ولم يتركوا لها سوى فدان واحد يستأجره أحد جيرانها فهي لا تقوى على زراعته!

تمتت تحدث نفسها: لو لم يخصصني زوجي بهذا المنزل، إلى أين كنت أذهب بعد وفاة والدي وأخوي؟! أما أبناءهم - سامحهم الله - فهم موظفون يقيمون في المدينة ولا يأتون إلا في الأعياد، لقد نسوا أن عمتهم تعيش في القرية. الله يرحمك يا حاج علي ويسامح أهلك الظلمة، إنهم يهتموني بأني خربت بيتك بعدم الإنجاب ولا يعلمون أنك أنت الذي لا تتجب، وأنتي ضحيت بأمومتي ولم أصرح بذلك السر لأحد طبقاً لرغبتك وتحملت تجريحهم طيلة عمري!.. كاد النهار ينتصف وهي غارقة في ذكرياتها رغم تنقلها بين خرافها ودجاجها تأنس بصحبتهم. سمعت طرقات على الباب، هرولت تهبط الدرج الحجري، جذبت المفتاح الكبير المعلق، فتحت الباب وهي تردد: من تراه؟

- صباح الخير يا حاجة، ولو أننا في الظهيرة.

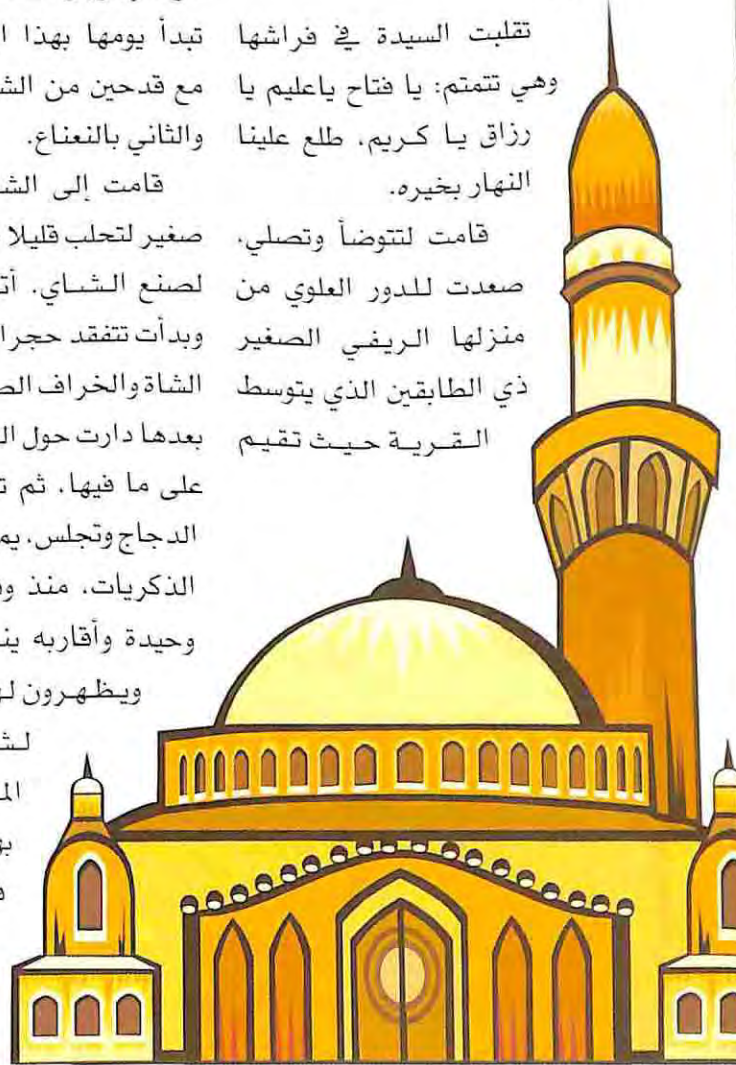
بمفردها بعد وفاة زوجها. فتحت سكينه إحدى الغرف وأحضرت شريحة من الخبز وقطعة من الجبن الطري، وأشعلت الموقد ووضعت فوقه إبريق الشاي. اعتادت أن تبدأ يومها بهذا الإفطار البسيط مع قدهين من الشاي الأول باللبن والثاني بالنعناع.

قامت إلى الشاة وبيدها كوب صغير لتحلب قليلاً من اللبن اللازم لصنع الشاي. أتمت إفطارها وبدأت تتفقد حجرات المنزل وتطعم الشاة والخراف الصغيرة والدجاج. بعدها دارت حول الصومعة لتطمئن على ما فيها، ثم تلقي بالحب إلى الدجاج وتجلس، يمر أمامها شريط الذكريات، منذ وفاة زوجها وهي وحيدة وأقاربه يناصبونها العداء ويظهرون لها الكراهية لا لشيء سوى أن المرحوم خصها بهذا المنزل لتعيش فيه ولا يزاحمها فيه أحد من الورثة الذين أخذوا كل

لاحت خيوط الفجر البيضاء تشق أستار الظلام الكثيف، وتعالى صياح الديكة، ثم انطلق صوت المؤذن مجلجلاً في خشوع: الله أكبر.

تقلب السيدة في فراشها وهي تتمتم: يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم، طلع علينا النهار بخيره.

قامت لتتوضأ وتصلي، صعدت للدور العلوي من منزلها الريفي الصغير ذي الطابقين الذي يتوسط القرية حيث تقيم



- صباح النور يا فتحي. تفضل!
يدخل وخلفه طفلة صغيرة تحمل
طبقاً من الخوص مملوءاً بالفلول
الأخضر، قدمته لسكينة قائلة: كل
سنة وأنت طيبة يا خالة.

- وأنت طيبة يا ابنتي. ربنا
يزيد الخير.

يقف فتحي ويخرج من جيبه
مبلغاً من المال ويقدمه لها قائلاً:

- إيجار الفدان يا حاجة. ويكفي
أنك صبرت وانتظرت حتى ينضج
المحصول

- ولماذا لا أصبر وأنا في ستر
والحمد لله.

يهم فتحي بالانصراف، فتصر
سكينة على عمل الشاي، فيعتمر
لضيق الوقت. يخرج وخلفه ابنته.
تغلق الباب وتصدر للدور العلوي.
تتجه نحو الصومعة. ترفع الغطاء
بعد أن تقف على كرسي صغير.
تنظر بداخلها بإمعان، تنزل من
فوق الكرسي وتنظر أسفلها.

هذه الصومعة صنعتها سكينة
بنفسها في شبابها كعادة فلاحات
قريتها، كانت تحضر الطين المخلوط
بالتبن، وتصنع منه دائرة في حجم
صينية. وبعد أن تجف تبني لها
سورا من نفس الطينة ارتفاعه
شبر. وفي اليوم التالي تضيف شبرا
آخر، وهكذا حتى يتجاوز ارتفاعها
طول صاحبيتها فتبدأ في تضيق
الدائرة تدريجياً حتى تصبح الفتحة

مناسبة لأن تكون فوهة الصومعة.
ولا بد من عمل فتحة مستديرة أسفل
الصومعة. وقد خصصت سكينة
للصومعة غطاءين من الفخار
أحدهما للفتحة العلوية الكبيرة
والثاني للفتحة السفلية الصغيرة،
استغرق بناء الصومعة أكثر من
شهر فوق سطح المنزل.

في حياة زوجها استخدمتها في
حفظ التمور والغلال، فالحبوب
بداخلها تظل طول العام ولا تصاب
بالتسوس، فإذا أرادت أخذ كمية
أبعدت الغطاء عن الفتحة السفلية
فتتدفق الحبوب أو التمور في الإناء
الموضوع أسفلها فتأخذ ما تريد ثم
تعيد الغطاء وتسند به حجر.

بعد وفاة الزوج انتهزت فرصة
خلو الصومعة واستدعت إحدى
جاراتها لمعاونتها في نقلها من
السطح إلى غرفة بالطابق العلوي
لاستخدامها في حفظ الأشياء
الثمينة.

اعتقدت سكينة التي جاوزت
الستين من عمرها وتعيش وحيدة
أنها مطمع للصوص الذين يعتقدون
أنها تخفي أموالاً كثيرة حتى لا
يشاركها الورثة فيها، ولن يخطر
على بال أحد أن بداخل الصومعة
نقودها ومصاغها والأوراق الخاصة
بملكية البيت والفدان، لذا فهي
تشعر أن أموالها في أمان إضافة
إلى أنها تتفقدتها يومياً.

تذكرت أن اليوم الخميس،
فهبّت مسرعة، هبطت الدرج،
اتجهت، أحضرت الماجور، وضعت
به أطباقاً من الدقيق وقامت بعجن
الفطائر وتركتها لتختمر، تضاعف
حجم العجين فقامت بتقطيعه
وتشكيله في صوان كبيرة وأشعلت
الفرن، تصاعدت رائحة الخبز،
اعتادت أن تصنع الفطائر كل
خميس وتوزعها على أطفال القرية
وفقرائها وهي تردد: صدقة ورحمة
على روح الحاج علي. ثم تقرأ
الفاتحة.

كل من يمر عليها يحييها
ويقرأ معها، فتشكره وتعطيه بعض
الفطائر، خمس سنوات مرت على
وفاة زوجها لم تتخلف خميساً واحداً
عن عاداتها، وأطفال القرية يعرفون
ذلك ويتجمعون بعد صلاة العصر
أمام بيتها كأنه عيد أسبوعي، لأن
الفطائر لذيدة شهية لم تبخل
عليها بالزبد واللبن وبعضها محشو
بالعجوة، وتقوم بتوزيعها وهي
ساخنة.

في أحد الأخمسة شعرت بإرهاق
شديد، فحملت السلة وما بها من
فطائر ووضعتها بجوار الباب،
وأرسلت في طلب جارتها، حضرت
الجارة على عجل فعهدت إليها
بتوزيع الصدقة لأنها متعبة.

انتشر الخبر بسرعة البرق بعد
عودة الأطفال إلى ذويهم حاملين



السودان

زرت السودان بمناسبة
الاحتفال بالخرطوم
عاصمة للثقافة العربية
عام ٢٠٠٥. وكانت هذه
الآبيات:

أحمد الجديع - الأردن

بلد الأحبة قاصياً أو داني
يا أهل ودي في حمى السودان
الطمي طينتكم وطينة آدم
والطمي إنماء بلا نكران
ولقد عشقت من الجمال سماره
ليس الجمال بفاقع الألوان



للناس نيل واحد ببلادهم
ولكم ، أهيل أحبتي ، نيلان
هذا على أيمانكم متدفق
وعلى «شماثلكم» يفيض الثاني
الطيب طيبكم ، وأنتم أهله
والربُّ يمنح واسع الغفران



ولقد سألت عن السماحة والندی
وعن المروءة في دنا الإنسان
فأجابني أهل الحجا بلسانهم:
كل الفضائل أصلها سوداني



الفتاثر، وعرف الجميع بمرض سكينه وعدم قدرتها على توزيع الصدقة، فتوافدوا على بيتها يدعون لها بالشفاء، ظلت طريجة الفراش لا تتناول غير الماء، و حضر الطبيب فلم تستجب للعلاج وساءت حالتها، أرسل الجيران إلى أبناء أخويها فحضرُوا وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة.

انتهى المأتم وبدأ النزاع بين أهلها وأهل زوجها على الميراث، فأهلها يرون أنهم أحق بميراث عمتهم. وأهل الزوج يعتقدون أن كل ما لديها كان لعمهم واستولت عليه دون وجه حق.

اشتد الخلاف بين الفريقين وانطلقوا داخل المنزل يبحثون ويقلبون الأثاث فلم يجدوا شيئاً، اتجه أحدهم إلى الصومعة فرفع غطاءها وراح ينظر بداخلها ويمد ذراعه عسى أن يصل إلى محتوياتها، انتبه الآخرون فهجموا على الصومعة، ازداد التدافع فسقطت على الأرض وتحطم جدارها فأخرج بعضهم ما بداخلها، من متاع لا قيمة له، وصندوقاً تراثياً محكم الإغلاق.

وبعد شد وجذب اقترح أحد الجيران أن يذهبوا بالصندوق لبيت العمدة والاحتكام لوجهاء القرية حقناً للدماء.

في بيت العمدة فتح الصندوق، وكانت المفاجأة! لقد باعت سكينه فدانها وبيتها إلى مقرة تحفيظ القرآن الكريم في القرية وتبرعت بثمنه للمقرة والمسجد التابع لها: على أن تسكن في بيتها إلى آخر حياتها.

تقطبت وجوه أهلها وأهل زوجها، بينما علت الدهشة والفرحة وجوه أهل القرية جميعاً، وصاح العمدة وهو يمسك بصك المبايعة:

رحم الله الحاجة سكينه! عاشت خيرة، وماتت

خيرة ■